رَجُلُ الكرمِ والـمُرُوءَاتِ

العم

شافي بن سعيد المرسان الهاجري

الحمد لله على كُلِّ حال، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه خير صحب وآل.

في يوم الأربعاء ٢٢ شعبان (١٤٤١هـ) الموافق لـ ١٥/ ٤/ ٢٠٢٠م، في مقبرة صبحان في الكويت ـ حماها الله وسائر بلاد المسلمين ـ كانت جنازة رجل الكرم والمروءات العم «**شافي بن سعيد المرسان الهاجري**» بعد أن صُلِّي عليه بعد صلاة الظهر.

خرجتُ من المقبرة، وأنا أُمسكُ بقلمي ـ حقيقةً وكأني أقول لـه: إِن لم تكتب اليوم فلا عرفتك اكتب وإلَّا كسرتُك ـ:

عرفتُ العم الجليل الوجيه «**شافي بن سعيد**» منذ أكثر من ثلاثين سنة؛ فرأيت فيه المروءَةَ بكافة معانيها وتعاريفها:

من كرم ذات، وفضل أدوات، وبذل للمعروف، وإغاثة للمحتاج والملهُوف.

وأفضل النَّاس ما بين الورى رَجُلٌ تُقضى على يدهِ للنَّاس حاجاتُ

والصفات الظاهرة من مروءات العم «**شَافي**» كثيرة.

* **فمن ذلك: صفة الكرم التي كانت مُصاحبة له من قديمِ أمرِهِ، وريعان شبابه؛ فإن الحديث عنها له بداية، ونهايتُهُ صعبٌ حصرُها:**

وليسَ حديثُ المكرُماتِ بكائنٍ مدى الدَّهرِ إلا حيثُ كانَ قديمُهَا

كل ذلك مع محبةٍ للضيوف، وإكرام للقادمين عليه، والنازلين بساحة فضله، فترى البشر والفرح في وجهه:

تَراهُ إذا ما جئْتَهُ متهلِّلاً كأنَّكَ تُعطيه الذي أنْتَ سائلُهْ

ويحرص غاية الحرص على إدخال السرور على ضيوفه ومن يجلس إليه، ولذا انعقدت محبة النَّاس له.

وصفة الكرم التي نالها العم «**شافي**» كانت تتمثل في سمو أخلاقه، وجميل طبعه، وشجاعة رجولته، فإن الكرم كان صفة ملازمة له لا يستطيع عنها انفكاكاً؛ فهي خِلْقةٌ وهي سجيَّته:

فكُلٌّ حَيًا للجودِ أنتمْ سحابهُ وكُلٌّ رحىً للمَجْدِ أنتُمْ لها قُطبُ

ومما رأيتهُ فرعٌ من كرمه ـ وكرمه كُلُّه أصل أصيل ـ رحمته للضعفاء والمحتاجين والمُعوزين، وهذا باب جليل من شريف مناقبه وكريم خصاله:

إنَّ المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أَحَلَّكَ اللهُ منها حيثُ تجتَمِعُ

وما قَصَدَهُ صاحبُ حاجة إلا وعاد بها قرير العين، مجبور الخاطر، ولسان حاله يقول:

فلي مِنْ بَطْنِ راحَتِهِ ارْتِواءٌ ولي في ظَهْرِ راحتِهِ اسْتِلامُ

وبالجملة: فإن صفة الكرم التي كان العم «**شافي بن سعيد**» يتصف بها يطول الكلام عنها؛ فحياته رحمه الله تعالى تفنُّنٌ في هذه الصفة في السَّراء

والضَّراء، وقد رأيت الكثير منها ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾، فإن جوده وعطاياه كانت معيناً لا ينَضَبُ:

لهفي على ذلك الجوادِ مضى ... في سَفرٍ لا يؤوب غائِبُهُ

* **ومن صفات العم «شافي» التي كان فيها فريداً ونموذجاً يحتذى صلته للأرحام وبِرُّهُ بهم، كبيرِهم وصغيرِهم، رجالِهم ونسائِهم**: فقد امتلأ قلبه حناناً ومحبةً ورأْفَةً وعطفاً، فتراه يبذل لهم النَّفس والنفيس، وإذا مرض أحدهم فإنه من أول من يقوم بزيارته وعيادته والاطمئنان عليه، وأحياناً يتحمل مشاق السَّفر في سبيل ذَلِكَ مع كِبَرِ سِنِّهِ، وما يعاني من بعض الأمراض، كل ذلك بنفس كريمة، وأخلاق أصفى من الرحيق السلسل:

صافٍ كماء المُزْن... ظاهره ... كضميره وكَسِرِّه الجَهْرُ

بَشَرٌ... ولكن في هُدى مَلَكٍ ... صَلَّى على أثوابه الطُّهْرُ

* **ومن صفات العم «شافي» بشاشة وجهه، وإشراقة جبينه**: فلا تراه إلَّاهاشًّا باشًّا، فهو أخلاق تتسامى إلى المُثل العليا، ومن عرفه عن قُرب يَرى هذه الصفة الجاذبة التي كانت من حليته:

خلائقُ كالحدائق طابَ منها ... النَّسيم وأينعت منها الثَّمار

وبعد:

فهذه كلمة عاجلة كُتبت بعد وفاته بساعات قليلةٍ، ولازلت أتذكر الوقوف على قبره ـ أنزل الله عليه وابلَ الرَّحماتِ والمغفرةِ ـ.

فإني من آخر من كان واقفاً على قبره، مُتذكراً تلك الأخلاق الطاهرة، والمزايا والآداب التي كان يتحلى بها العم «**شافي بن سعيد المرسان الهاجري**»:

كفـــى حَزَنًـــا أَنِّي أمـــرُّ بقـــبرِهِ فأمـضي وقلبـي بالأسـى يَتكَـسَّرُ

اللهم إنَّا لا نقول إلا ما يُرضي ملك السموات والأرض.

وقد خلَّف أبناءً كراماً، وحفدةً فُضَلاء، كـانوا ـ ولا زالـوا ـ أجنحتـه ومَعَاقِدَ آماله، فنعم الخلف هم أسعدهم الله، وأسعَدَ بهم.

ولن أنسى هذا اليوم وهم من حوله في جنازته:

وأبنـــاءُ بِـــرٍّ كالبُـــدورِ تحلَّقوا وأوجهُهُم فيهـا الـضَّراعةُ تُرسَـمُ

تقبلَ الله ضراعتهم إلى المولى بالمغفرة والرضوان لوالدهم.

ولن يغيب عني منظر بناتـه المـصونات، وحفيداتـه الكـريمات، وقـد تذكرت في ذلك قول أحد المُجيدين من شعراء عصرنا ـ لا كبا يراعه ـ:

وَربّـاتُ طُهْـرٍ قـد أَحَطْـنَ بوالـدٍ يُودِّعْنَهُ والقلبُ في الـصَّدرِ يُكْلَـمُ

ذوى منه وَجْهٌ كان بـالنُّورِ مُـشْرِقاً وعينٌ خبـا فيهـا الـضيا والتَّبـسُّمُ

تَلفَّفْنَ بالصَّبْرِ الجميـلِ فـلا تـرى سوى مَدْمعٍ يَهمـي، وثَغْـرٍ يُتَمْتِمُ

وختاماً:

مدحتُكَ جهدي بالَّذي أنتَ أهلُـهُ فقَصَّرَ عنّا فيكَ من صالِحِ جَهدي

فما كـلُّ مـا فيـكَ مـن الخـير قلتُـهُ ولا كلُّ ما فيكَ يقولُ الَّذي بَعدي

الكُوَيت ـ مَدِينَة سَعد العَبدالله مِنَ الجَهراء المَحْرُوسَة

الأربعاء في ٢٢ شعبان (١٤٤١هـ)

١٥/ ٤/ ٢٠٢٠م

❐ ❐ ❐

وداعاً . . .

اللهم أسكنه جنان عدن، واغفر له وارحمه . . .